محمد سليم العوّا

العلاقة بين السنة والشيعة

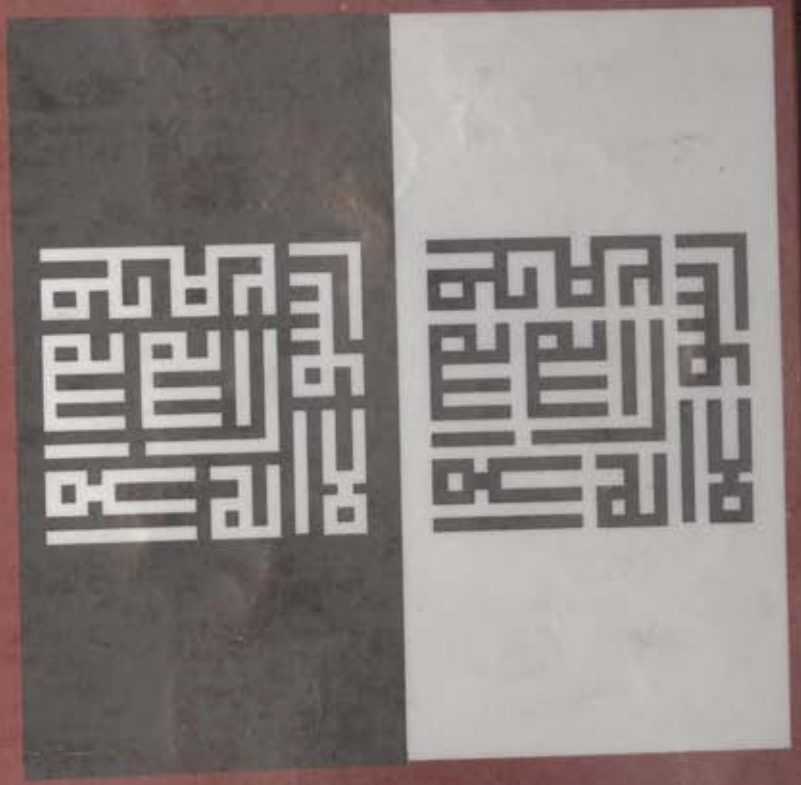

سفير الدولية للنشر

تشغل العلاقة بين السنة والشيعة بال جمهرة كبيرة من المتدينين والمثقفين والناشطين سياسيا والمعنيين بمسائل الأمن القومي للمنطقة المعروفة بالشرق الأوسط التي غالب اهلها مسلمون من السنة ومن الشيعة.

ويتناول هذا الكتاب مسألة اصول العلاقة بين السنة والشيعة اتفاقا واختلافا، ثم يترك لأهل الاختصاص في كل جانب من جوانب الدين، والسياسة، والاقتصاد، والأمن وغيرها، أن يوظف معرفته بهذا الأصل في مجال اختصاصه وعلاقاته واهتمامه ونشاطه.

سفير الدولية للنشر

800047647
مكتبة مبارك العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الغلاف إهداء الفنان أحمد عبد العزيز

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

حقوق الطبع محفوظة

سفير الدولية للنشر

١٥ ش أحمد عرابى - المهندسين - ص.ب: ٤٢٥ الدقى - القاهرة

ت: ٣٤٤٧١٧٣-٢٠٢+ فاكس: ٣٠٣٧١٤٠-٢٠٢+

Web Site: www.safeer.com.eg E-Mail: safeer@safeerinternational.com

المعرض الدائم

٤٨ ش أحمد عرابى المهندسين

تليفون: ٣٠٤٩٤٠٣/٢٠٢+

العوا، محمد سليم
العلاقة بين السنة والشيعة
محمد سليم العوا- القاهرة
سفير الدولية للنشر، ٢٠٠٦
٦٤ ص، ١٤ سم
تدمك ٩ ٤٣٧ ٣٦١ ٩٧٧
١- الفرق الإسلامية
٢- السنة ٣- الشيعة
أ- العنوان
١٢ و ٢٥١

رقم الإيداع : ١٨٦٦٤/ ٢٠٠٦
I.S.B.N. 977 - 361 - 437 - 9

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقة بين السنة والشيعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً.

وأصلي وأسلم على رسول الله محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واستمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد ..

فهذا النص أصله محاضرة ألقيت في مقر نقابة الصحفيين بالقاهرة مساء يوم الأربعاء ١٣ من شعبان ١٤٢٧هـ=٦/ ٩/ ٢٠٠٦م بدعوة كريمة من لجنة المتابعة في النقابة.

وموضوع العلاقة بين السنة والشيعة يشغل بال جمهرة كبيرة من المتدينين والمثقفين والناشطين سياسيًّا والمعنيين بمسائل الأمن القومي للمنطقة المعروفة بالشرق الأوسط التي غالب أهلها مسلمون من السنة ومن الشيعة.

ولا يستقيم لأحد فهم الدور الذي يمكن أن يقوم به التنوع الإسلامي، السني الشيعي، في مجال اهتمامه أو نشاطه أو اختصاصه

إلا إذا تبينت له أصول العلاقة بين هاتين المدرستين الإسلاميتين الكبيرتين اتفاقاً واختلافاً، مع فهم الأسباب والعوامل التي جعلت موضوع العلاقة السنية الشيعية يصبح موضوعاً رئيسياً في المجالات السالف ذكرها جميعاً.

وهذا النص يعنى ببيان هذه المسألة الأخيرة فقط، أعني مسألة أصول العلاقة بين السنة والشيعة اتفاقاً واختلافاً، ثم يترك لأهل الاختصاص في كل جانب من جوانب الدين، والسياسة، والاقتصاد، والأمن وغيرها، أن يوظف معرفته بهذا الأصل في مجال اختصاصه وعلاقاته واهتمامه ونشاطه.

وقد تفضلت دار سفير الدولية مشكورة بالإسراع في نشر النص المكتوب للمحاضرة التي ألقيت في نقابة الصحفيين، وأتاحت لي فرصة مراجعته وتنقيحه، فثواب ظهوره بصورته الحالية يرجع إليها وحدها.

وأسأل الله أن ينفع بعملنا كله، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يقيني أن أشرك معه ما أعلم، وأستغفره ـ سبحانه ـ لما لا أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

محمد سليم العوّا

١- تمهيد:

يقول الله سبحانه في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والخطاب للناس جميعاً هو خطاب للمؤمنين بصدق القرآن من باب أولى.

والتعارف تفاعل من جانبين، لا يتم إلا بأن يحرص كل منهما على معرفة الآخر والتعامل معه، وإلا لم يكن ما بين هذين الطرفين ـ أو الأطراف ـ «تعارفاً»، وإن كان «تعرفاً»؛ أي مجرد جهد من طرف واحد، لاستقاء معلومات أو جمعها، قد يستفيد مَنْ جمعها منها لكنها لاتزكي الجهد البشري الواجب بذله لعمارة الأرض وتحقيق خلافة الإنسان فيها.

ومما يؤسف له أن معرفة كلٍّ من الطائفتين الكبيرتين المكونتين، على وجه عام، لمجموع المسلمين ليست مما يحقق التعارف المأمور به في القرآن الكريم. وهذا الأمر أظهر عند علماء السنة وعامتهم منه عند علماء الشيعة وعامتهم. يقول الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد في دراسة ماتعة له عن الحوار بين السنة والشيعة: «إن الشيعة يعرفون عن عقائد أهل السنة والجماعة ما لا يعرفه أكثر أهل السنة عن

عقائد الشيعة ومذهبهم وآراء علمائهم وعامتهم... لايكاد أكثر المثقفين غير المتخصصين من أهل السنة يعرفون عن الشيعة إلا أنهم طائفة أسرفت في التشيع لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وترى أنه كان أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر.. وأنهم، فوق ذلك، أصحاب بدع يخالفون بها مذهب أهل السنة ويخرج بها المتطرفون منهم عن دائرة الإسلام الصحيح»[1].

والقارئ لفتاوى بعض علماء السنة المعاصرين يجدهم لا يزالون يقولون في الشيعة الإمامية أقوالاً لا تثبت على البحث العلمي، ولايقوم عليها من كتب أئمة الشيعة وعلمائهم دليل صحيح[2].

وعدم المعرفة الكافية الذي أشار إليه الدكتور أحمد كمال أبو المجد؛ والمعرفة المغلوطة التي تنبئ عنها أمثال تلك الفتاوى، هما اللذان يدفعان إلى التعرض إلى هذا الموضوع بنوعين من البصيرة؛ ببصيرة الإنصاف التي لاتنسب إلى أحد إلا ما ينسبه إلى نفسه، ولا تلصق بأحد قولا أو تهمة إلا إذا قبل هو أن يكون هذا قوله أو أن تكون تلك التهمة مما يتهم به. وبصيرة العدل التي تقتضى مع هذا

(١) أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، دار الشروق، ص ٢٦٩.

(٢) مثلاً: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، فتوى منشورة على موقعه على الشبكة الدولية للمعلومات ٣ رجب ١٤٢٧هـ = ٢٨/٧/٢٠٠٦.

الإنصاف أن نقول للمخطئ، أخطأت، كما نقول لمن أصاب: أصبت، أو نقول للمحسن: أحسنت كما نقول للمسيء: أسأت، دون تزييف ولا تزويق ولا مجاملة.

وقد حدثني اليوم أحد شيوخنا الكرام هاتفيًّا وطلب مني، وأنا قادم إلى هذا المكان، ألا أجامل إخواننا الشيعة وألا أحاول أن أزين عقائدهم لكي تحلو في أعين شبابنا وألا أقوم بدور، لا يجدر بمثلي القيام به، في إخفاء الحقائق التي يجب أن يعرفها الناس. فذكرت له ما هو من طبعي: أن أكون أصرح في الحق، الذي لا يحتمل خلافاً، مما تبلغه صراحة كثير من الناس، وأن أكون صادقاً مع نفسي كما أكون صادقاً مع الناس؛ فكرر تحذيره إياي من أن أقع في مصيبة الإخلال بما يجب على العالم المسلم، أو طالب العلم المسلم، من الإنصاف والعدل؛ رغبة في التقرب من إخواننا الشيعة، أو رغبة في نصرتهم في المحنة التي يتعرضون لها في لبنان وإيران.

أكدت للشيخ الجليل، وحاولت أن أقنعه، أنني لن أفعل هذا، ثم أحلته إلى الشرائط التي ستسجل لهذه الأمسية وقلت له: عندما تسمعها وتجد فيها ما لا يعجبك فأرجو أن تنبهني إليه، وإذا وجدت فيها خطأ فإني أرجوك أن تصوبه وتصححه، فقد حفظنا قديما قول الناظم:

وإن تجد عيباً فَسُدَّ الخللا جلَّ من لا عيب فيه وعلا(!)

هذا هو عهد المسلمين بعضهم مع بعض[٣] .

والتعرض لأقوال أصحاب الفرق والمذاهب، والحوار معهم فيها، يجب أن يقوم على ما يقولونه فحسب دون ما يَلْزَمُ مما قالوه، في نظر السامع أو القارئ. أي إن الذي يحتج به على صاحب الرأي أو العقيدة أو المذهب هو لفظه الذي يفرغ فيه فكرته ويقدمها إلى الناس في قالبه دون ما يترتب، أو قد يترتب، على هذا اللفظ وتلك

(٣) استمع الشيخ الجليل إلى تسجيل المحاضرة الذي بثته قناة الجزيرة صباح يوم الخميس ١٤ من شعبان ١٤٢٧هـ=٧/٩/٢٠٠٦م، وتفضل فهاتفني منتقداً مسألة واحدة هي قولي: إن معاوية رضي الله عنه من المبشرين بالجنة على أساس أن عبارة (المبشرين بالجنة) إذا أطلقت يفهم منها العشرة المبشرون صراحة وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف، أبو عبيدة ابن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد؛ ولا ريب أن صحابة رسول الله ﷺ كلهم في الجنة لقوله سبحانه مخاطباً إياهم: ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠] وليس هناك دليل على تخصيص عموم هذه الآية التي تشمل أصحاب رسول الله كافة. وثم أحاديث مختلف في صحتها عن فضل معاوية في بعض رواياتها أن النبي ﷺ دعا له بقوله (وأدخله الجنة). وقد قال ابن تيمية إن رسول الله ﷺ استكتب معاوية منذ أسلم. والخبر في ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي زميل عن ابن عباس، برقم ٢٥٠١. انظر: ابن تيمية سؤال في معاوية بن أبي سفيان، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٩، ص ٢١، وهامش رقم ٨ في الصفحة نفسها. وترجمة معاوية في سير أعلام النبلاء.

الصياغة من نتائج يستنتجها ذكي أو ألمعي أو صاحب بصيرة، أو مَنْ دون هؤلاء من الناس. لأن القاعدة المسلَّمة عند العلماء تقول: «لازم المذهب ليس بمذهب»؛ أي إن الذي يلزم الناس هو ما يقولونه بنصه وبمعناه الظاهر الذي لا يختلف عليه أهل العلم باللغة التي قيل بها، أما ما يفهمه الناس، ويستنبطونه، ويستنتجونه، ويؤولون الكلام إليه فهو لا يلزم القائل في قليل ولا كثير.

وثم قاعدة ثانية تلزم طلاب العلم بأن يأخذوا كلام أصحاب المذاهب وأتباع الفرق من كتبهم التي دونوها بأنفسهم، كما تلزم هذه القاعدة نفسها طلاب العلم بأن يأخذوا كل علم من مظانه التي خصصت له؛ فلا يؤخذ الفقه من كتب الحديث، ولا الحديث من كتب التفسير، ولا العقائد من كتب الفقه، ولا شيء من ذلك كله من كتب الأدب والتاريخ وما إليها.

ونحن نلتزم في هذا النص بهاتين القاعدتين فلا ننسب لأحد إلاماقاله ولا نحاسبه إلا عليه.

* * * * *

٢- كيف تفرقنا؟

أول سؤال يواجهنا عندما نتحدث عن فرق المسلمين هو السؤال عن كيفية افتراق هذه الأمة؟؟!!

إن الله تبارك وتعالى يأمرنا في محكم كتابه بالاعتصام بحبل الله، وينهانا عن التفرق، ويوجهنا إلى ضرورة احترام الأخوة الدينية، فيقول ربنا تعالى ذكره: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣] . وسياق هذا الأمر القرآني يدل على خطورة التفرق فهو يبدأ بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٢] .

ثم تأتي آية الاعتصام السابق ذكرها ويعقبها قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟

وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] .

والله سبحانه وتعالى يصف الأمة المؤمنة بأنها أمة واحدة: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢] و ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] . وهو وصف كريم يقتضي الحرص على الوحدة والاستمساك بها والمحافظة عليها، وردَّ الأمور المختلف فيها -إذا فرقتنا- إلى مقتضى تلك الوحدة وموجبها.

لقد مضى زمن النبوة برسول الله ﷺ وأصحابه، في مكة ثم في المدينة المنورة، والناس أمة واحدة لا يفرقهم رأي ولا يخالف بينهم تفرق ولا تمذهب، بل كانوا كما أحبهم الله تبارك وتعالى ووصفهم: ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤].

ثم انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فجرى على أمته ما جرى على أمم سابقيه من المرسلين من الاختلاف الذي أدى إلى التفرق. وكان أول خلاف وقع في الأمة هو الخلاف في أمر الولاية بعد رسول الله ﷺ. يقول أبو الحسن الأشعري: «وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة...»(٤)

(٤) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، بتحقيق هلموت ريتر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٠، ص ٢.

والإمامة هي الخلافة، وهي رئاسة الدولة، وهي إمرة المؤمنين.

ودون دخول في تفاصيل تاريخية، لا تمكن الإحاطة بها هنا، نقول: إن الخلافة استقرت لأبي بكر رضي الله عنه، ثم لعمر رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه إلى أن قُتِل لاختلاف الناس عليه في بعض ما فعله، ثم بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه «فاختلف الناس في أمره فمن بين منكر لإمامته ومن بين قاعد عنه ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم... ثم حدث الاختلاف أيام علي في أمر طلحة والزبير رضوان الله عليهما وحربهما إياه وفي قتال معاوية إياه... [وكان التحكيم فأباه قوم وخرجوا على علي رضي الله عنه] فسموا خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وصار هذا اختلافاً إلى اليوم»[٥].

لقد نتج عن النزاع المسلح بين علي ومعاوية رضي الله عنهما انقسام الأمة إلى ثلاث فرق: فرقة انحازت إلى علي رضي الله عنه في أول النزاع ووسطه وآخره وبعده حتى انتهى الأمر بها إلى أن تعرف بـ (شيعة علي)، وهي التي تعرف اليوم اختصاراً باسم الشيعة. وقد

(٥) أبو الحسن الاشعري، المصدر السابق ص ٣- ٥.

مكتبة مبارك العامة
Mubarak public Library

تفرقت إلى فرق كثيرة، باد معظمها، وأهم من بقي منها فرقتان هما: الإمامية الاثناعشرية (الجعفرية)، والزيدية.

والفرقة الثانية انتهى أمرها كما بدأ إلى أن تعرف باسم (الخوارج)، وقد انقسموا أيضاً إلى جماعات كثيرة بادت كلها ولم يبق ممن يقول بقولهم أحد[٦].

والفرقة الثالثة هي التي انتهى أمرها، بعد سنة ٤٠ هـ التي تنازل فيها أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان عن الخلافة، إلى أن تعرف باسم (أهل السنة والجماعة). وهذه الفرقة الثالثة هي التي ضمت السواد الأعظم من المسلمين الذين فرقتهم الحرب أصلا إلى معسكر علي ومعسكر معاوية، فأصبحا بتنازل الحسن معسكراً واحداً أو فرقة واحدة أطلق عليها اسم أهل السنة والجماعة.

(٦) بعض الناس يزعمون أن إخواننا الإباضية - أتباع المذهب الغالب على سلطنة عمان ومناطق من ليبيا وتونس وغيرهما - فرقة من فرق الخوارج، والصحيح أن الإباضية ليسوا منهم. راجع كتاب الشيخ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٦٤م وأحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٩٨٦، ص ٦٢ وما بعدها، وسالم بن حمود بن شامس السمائلي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، القاهرة ١٩٧٩.

كان بعض الذين كونوا هذا الفرقة يقرون بإمامة أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما الذي بويع بالخلافة بعد استشهاد أبيه؛ وكان بعضهم الآخر يتبعون معاوية بن أبي سفيان الذي لم يكن خليفة، ولاادعى الخلافة، ولا سمي بها قبل سنة ٤٠هـ. وإنما كان زعيم ثوار قبلوا زعامته وملكوه شأنهم، فلما تنازل له أمير المؤمنين الحسن بن علي عن الخلافة أصبح اسم هاتين المجموعتين أهل السنة والجماعة وأصبح معاوية بهذا التنازل خليفة للمسلمين[٧].

ومن السياسة التي بدأت هذه الفُرقَةُ بين المسلمين بسببها، انتقل الأمر إلى العقائد والفقه. فكان لكل فرقة مميزات اعتقادية، ومذهب أو مذاهب فقهية.

* * * * *

٣- الفرقة والمذهب:

في المصطلح العلمي الإسلامي توصف بكونها فرقة كل جماعة من المسلمين اتخذت لنفسها مذهباً في بعض العقائد الكلية أو

(٧) راجع في تفاصيل ما سلف: محمد سليم العوّا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق ٢٠٠٦، ص ٩٠- ١٠٧.

التفصيلية، يميزها عن غيرها من جماعات المسلمين. وقد أوصل أبو الحسن الأشعري الفرق الرئيسية للمسلمين إلى عشر فرق، ثم بَيَّنَ في ثنايا كتابه تَشَعُّبَ كل فرقة منها إلى مجموعات أصغر بسبب ما وقع بين بعضها وبعض من اختلافات على مر الزمان[٨].

ويوصف بأنه مذهب كل بناء فقهي يتناول مسائل الحلال والحرام والواجب والممنوع والمباح وما إليها، أي يتناول العلم التفصيلي بأحكام أفعال العباد من حيث وجوبها أو استحبابها أو تحريمها أو كراهتها أو إباحتها.

فإذا تكلمنا عن الفرقة فنحن نتكلم عن بعض العقائد - أي الأمور الغيبية التي يؤمن بها أتباعها - التي تخالف بها سائر الفرق. وإذا تكلمنا عن المذهب فنحن نتحدث عن البناء الفقهي المتكامل أصولاً وفروعاً - في مسائل الحلال والحرام - الذي يتميز به عن سائر المذاهب. وينبغي أن نعرف أنه في كل مذهب بلا استثناء مجتهدون خالفوا أئمة المذهب فيما يقولون به في مسألة أو أكثر، أصولية كانت أم فرعية، وفي كل فرقة علماء لهم آراء جزئية أو تفصيلية يستقلون بها عن مجموع أقوال أهل الفرقة. وتلك المخالفة الفقهية، وذلك

(٨) أبو الحسن الاشعري، المرجع السابق، ص ٥.

الاستقلال في بعض مسائل العقيدة لا يخرجان أصحابهما من عموم انتسابهم إلى الفرقة أو المذهب. ولكن الحوار والمناقشة والاتفاق والاختلاف تكون كلها مع مايعتبر رأي جمهور المذهب أو الفرقة لا مع الآراء المستقلة أو الشاذة.

ونحن في هذا النص عندما نتحدث عن الشيعة فإنما نعني الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، أو الجعفرية، وهم الفرقة التي ينتمي إليها شيعة إيران والعراق ولبنان وسوريا ودول الخليج كافة، وقد امتدت تأثيراتها إلى إفريقيا في العقود الأخيرة، بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران إذ دخل دعاتها إلى عدد من الدول الإسلامية فحولوا بعض أهلها من المذهب المالكي السائد فيها إلى مذهب الشيعة الإمامية. ولهذا الأمر حديث سيأتي إن شاء الله.

والحوار يدور مع الشيعة الإمامية لأنها هي التي يُحْدِثُ عمل أتباعها السياسي والجهادي أكبر أثر في الإسلام اليوم، وأكبر أثر في علاقة المسلمين بغيرهم خارج بلاد الإسلام، وهي التي يجري البحث مع قادتها في المجامع والمؤتمرات في وحدة الأمة أو فُرقتها، وفي أثر ذلك على تحديات حاضرها ومستقبلها.

ومثل هذا البحث، بين علماء السنة والشيعة، يتغيا الفهم الصحيح للعوامل الجامعة بين المسلمين الموحدة لصفهم، المقوية

لجمعهم في مواجهة عدو يدهمهم من كل جانب، ويتحالف عليهم، منه المختلفون على كل شيء إلا على العدواة للشرق وأهله، والإسلام وجماعاته، وكنوز هذا الشرق وثرواته؛ يتحالفون من كل أنواع الملل: مسيحيها ويهوديها ووثنيها، كلهم يتكالبون على هذه المنطقة من العالم وعلى هذه الأمة من أمم الأرض. وأنا أستعمل لفظ الشرق عامداً لأن العدو المتوحد ضدنا، لاسيما العدو الأمريكي/الصهيوني، يزعجه كل الإزعاج إيمان المسيحيين الشرقيين بدينهم كما تزعجه صحوة مئات الملايين من المسلمين وعودتهم إلى شريعتهم.

والشيعة الإمامية الاثنا عشرية (الفرقة) تعرف بذلك الاسم لأنها تقول بانحصار الإمامة، بعد وفاة النبي ﷺ، في اثني عشر إماماً آخرهم الإمام الغائب المهدي المنتظر[٩].

والمذهب الذي يتدين به الاثنا عشرية هو المذهب الجعفري، أو الإمامي الاثنا عشري، والاسم الأول أشهر وهو مأخوذ من اسم إمامهم السادس جعفر الصادق الذي أصَّلَ المذهب الفقهي وأسسه، وقد كان

---

(٩) الأئمة الاثنا عشر هم: علي رضي الله عنه، ثم الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي ابن الحسين (زين العابدين)، ثم محمد بن علي بن الحسين (محمد الباقر)، ثم جعفر بن محمد (جعفر الصادق)، ثم موسى الكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي وهو الإمام الغائب الذي ينتظر الشيعة خروجه في آخر الزمان.

إماماً جليل الشأن في الفقه، وكان ممن أخذ عنه الإمامان الجليلان أبو حنيفة ومالك، بل إنه مما يروى عن أبي حنيفة أنه كان يقول: «لولا السنتان لهلك النعمان»! يشير بذلك إلى سنتين كان يلتقي فيهما بالإمام جعفر الصادق[١٠].

إن كون الإمامية الاثنا عشرية فرقة يعني أن لها في العقيدة آراء تميزها عن سائر فرق المسلمين، وكونها مذهبًا فقهيًا يعني أن لعلمائها في مسائل أصول الفقه وفروعه منهجاً يغاير منهج العلماء الآخرين. لكن أيًا من هذين الأمرين لا يخرج الشيعة الإمامية من حوزة الإسلام ولا ينفي كونهم جزءً من أمته. فالشيعة أنفسهم يقرون بكونهم مسلمين؛ وعلماء الفرق والملل والنحل يدخلونهم بغير خلاف في فرق الإسلام.

فالإمامية يقولون إن: «الإسلام هو ما جاء به نبينا محمد ذكرًا وهداية للعالمين جميعًا، والمسلمون هم الذين آمنوا بما جاء به، وكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعترف بكل ما

(١٠) الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، طبعة مؤسسة الرسالة الثانية، بيروت ١٩٨٢، ج٦ص ٢٥٥؛ وفي العبارة المنسوبة إلى أبي حنيفة راجع: المستشار عبد الحليم الجندي، الإمام جعفر الصادق، القاهرة ١٩٧٧، ص ١٦٢؛ وعبد العزيز سيد الأهل، جعفر بن محمد، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٢٣.

جاء به ولم ينكر أصلاً من أصول الدين الثلاثة التوحيد والنبوة والمعاد، ولاشيئًا من الضرورات ودعائم الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يُحِلّ ما حرم الله في كتابه، ورسوله في سنته: مثل الزنا والسرقة والخمر والميسر وشهادة الزور وخيانة الأمانة ونحوها فهو مسلم»[١١]، ومن هذا الفهم نمضي لنقف على أهم الجوامع وأهم الاختلافات بيننا وبين الشيعة الإمامية.

* * * * *

٤- الجوامع بين السنة والشيعة:

يجمع بيننا وبين إخواننا من الشيعة الإمامية: الإيمان بالله تعالى ربًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً وبكل ما جاء به من عند الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(١١) آية الله الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني، أهل السنة عند الشيعة الإمامية، مجلة رسالة التقريب، العدد رقم ٤٦، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م، ص ٣١.

يقول العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، بعد ذكر هذا المعنى:

«فهذه قواعد الإيمان الأساسية نتفق جميعا على الإيمان بها، وهي أسس الدين وركائزه»[١٢].

ويجمع بيننا وبين إخواننا الشيعة الإمامية الإيمان بالقرآن كتاباً منزلا من عند الله تبارك وتعالى وأنه محفوظ بحفظ الله له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

فلا يخالف مسلم سني أو شيعي في أن ما بين الدفتين من سورة الفاتحة إلى سورة الناس هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ؛ به يستدل الفقهاء والمتكلمون، وإليه يرجع الدعاة والمرشدون، ومنه يستمد الموجهون والمربون بلا خلاف بين أحد منهم وآخر على حرف فما فوقه أنه من كلام الله تعالى[١٣].

٤ / ١- مسألة تحريف القرآن:

لقد أفردت الكلام عن القرآن الكريم مع أن الإيمان به وبصحته من جملة ما يجمع بيننا وبين إخواننا الشيعة الإمامية لأن كثيرًا من علماء

---

(١٢) العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، مكتبة وهبة بالقاهرة ٢٠٠٥، ص ٢٨.

(١٣) الشيخ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص ٢٩.

أهل السنة، وعامتهم، يعتقدون اعتقادًا شبه جازم أن الشيعة الإمامية يعتقدون أن القرآن محرف بالنقص منه. ويستند هذا الاعتقاد إلى أمرين: أولهما: تأليف أحد علماء الشيعة المتأخرين كتاباً ذهب فيه إلى تحريف القرآن وسماه: باسم (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)[١٤]. ثانيهما: ما ورد من إشارات في بعض كتب الشيعة المعتمدة عن وجود كتاب يسمونه (مصحف فاطمة) تقول هذه الروايات: «إنه ليس في القرآن منه حرف وإنه يبلغ ثلاثة أمثال القرآن». والرواية في «الكافي» عن أبي عبد الله جعفر الصادق: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم! قال: إنه لعلم وما هو بذاك»[١٥].

٤ / ١ / ١- رد علماء الشيعة على كتاب فصل الخطاب:

منذ صدر هذا الكتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب

---

(١٤) هو المحدث حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، الشهير بالمحدث النوري، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ.

(١٥) الكافي، دار الكتب الإسلامية، بيروت، د.ت، ج١ ص ٢٣٩ ح١.

الأرباب) والحوزة العلمية الشيعية تقف ضده.

فيقول السيد هبة الله الشهرستاني الذي كان شاباً من طلبة الحوزة العلمية بسامراء، في عهد الإمام الشيرازي الكبير: إن ضجة ونعرات ثارت حول الكتاب ومؤلفه وناشره يومذاك. وكتب هبة الله الشهرستاني رسالة إلى الميرزا مهدي البروجردي الذي كان قد كتب كتاباً في الرد على كتاب النوري يقول له فيها: « كم أنت شاكر مولاك إذ أولاك نعمة هذا التأليف المنيف، لعصمة المصحف الشريف عن وصمة التحريف، تلك العقيدة الصحيحة التي أنست بها منذ الصغر أيام مكوثي في سامراء، مسقط رأسي، حيث تمركز العلم والدين تحت لواء الإمام الشيرازي الكبير، فكنت أراها تموج ثائرة على نزيلها المحدث النوري بشأن تأليفه كتاب فصل الخطاب، فلا ندخل مجلساً في الحوزة العلمية إلا ونسمع الضجة والعجة ضد الكتاب ومؤلفه وناشره يسلقونهم بألسنة حداد »(١٦)

وقال الإمام الحجة البلاغي، في مقدمة تفسيره (آلاء الرحمن): « إن المحدث المعاصر (يقصد المحدث النوري) جهد في كتاب فصل

(١٦) نقل هذا النص المحقق الشيخ معرفة في كتابه صيانة القرآن من التحريف ص ١١٥ ونقله عنه أبو عمر صادق العلائي في كتابه إعلام الخلف بمن بتحريف القرآن من أعلام السلف، موقع www.shiaweb.org ص ٢٤ .

الخطاب في جمع الروايات التي استدل بها على النقيصة (يقصد نقص القرآن) وكثّر أعداد مسانيدها بأعداد المراسيل عن الأئمة عليهم السلام... مع أن المتتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد. وفي الجملة ما أورده من الروايات منها ما لا يتيسر احتمال صدقها، ومنها ما هو مختلف اختلافاً يؤول به إلى التنافي والتعارض. مع أن القسم الوافر من الروايات ترجع أسانيده إلى بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم: إما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية، وإما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف من حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء، وإما بأنه كذاب متهم لا أستحل أن أروي من حديثه حديثاً واحداً... وإما أنه كان غالياً كذاباً، وإما بأنه ضعيف لا يلتفت إليه ولايعول عليه ومن الكذابين، وإما بأنه فاسد الرواية يُرمى بالغلو. ومن الواضح أن أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئاً.. »(١٧)

ويقول آية الله خوميني، في الرد على كتاب النوري: « لو كان الأمر كما توهم صاحب فصل الخطاب لكان الذي كتبه لا يفيد علماً ولاعملاً وإنما هو إيراد روايات ضعاف أعرض عنها الأصحاب تنزه

(١٧) العلائي، المصدر السابق، ص ٢٥ . حيث ينقل عن مقدمة تفسير آلاء الرحمن للبلاغي.

عنها أولو الألباب من قدماء أصحابنا... هذا حال كتب روايته غالبًا كالمستدرك[١٨]، ولا تسأل عن سائر كتبه المشحونة بالقصص والحكايات الغريبة التي غالبها بالهزل أشبه منه بالجد، وهو رحمه الله شخص صالح متتبع، إلا أن اشتياقه لجمع الضعاف والغرائب والعجائب وما لا يقبله العقل السليم والرأي المستقيم أكثر من الكلام النافع. والعجب من معاصريه من أهل اليقظة كيف ذهلوا وغفلوا حتى وقع ماوقع مما بكت عليه السماوات، وكادت تتدكدك الأرض؟!»[١٩].

ويقول الشيخ المفيد عن أحد مصادر الشيخ النوري في كتابه: «هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره وقد حصل فيه تخليط وتدليس فينبغي للمتدين أن يتجنب العمل بكل ما فيه ولايعول على جملته والتقليد لروايته». ويقول السيد الخوئي عن الكتاب نفسه: «والصحيح أنه لا طريق لنا إلى كتاب سليم بن قيس الهلالي المروي بطريق حماد بن عيسى فإن في الطريق محمد بن علي

(١٨) المقصود كتاب مستدرك الوسائل للمحدث النوري الطبرسي صاحب فصل الخطاب، وليس المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله محمد النيسابوري المعروف بالحاكم.

(١٩) آية الله خوميني، أنوار الهداية في التعليق على الكفاية، طبعة بيروت د.ت، ص ٢٤٣ وما بعدها.

الصيرفي أبا سمينة وهو ضعيف كذاب»[٢٠].

ومن مصادر كتاب النوري تفسير علي بن إبراهيم القمي الذي يقول فيه الشيخ جعفر السبحاني: «هذا التفسير ملفق من تفسير علي بن إبراهيم وتفسير أبي الجارود ولكل من التفسيرين سند خاص... وبعد هذا التلفيق كيف يمكن الاعتماد على ما ذكر في ديباجة الكتاب (يقصد مقدمته) لو ثبت كون الديباجة لعلي بن إبراهيم نفسه؟... ثم إن الاعتماد على هذا التفسير بعد هذا الاختلاط مشكل جدًّا خصوصًا مع ما فيه من الشذوذ في المتون»[٢١].

ويصف المحقق هادي معرفة روايات النوري بأن: «أكثريتها الساحقة نقلها من أصول لا إسناد لها ولا اعتبار، من كتب ورسائل إما مجهولة أو مبتورة أو هي موضوعة لا أساس لها رأساً... ونقل ٢٠٠ رواية، من أصل ١١٢٢ رواية، من كتب معتمدة، وهي صالحة للتأويل إلى وجه مقبول، أو هي غير دالة على التحريف وإنما أقحمها

(٢٠) نقل هذين النصين عن كتاب تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد، وعن كتاب صيانة القرآن للسيد الخوئي أبو عمر العلائي في المصدر السابق ص ٦٥.

(٢١) المصدر السابق، ص ٦٦. حيث ينقل عن كتاب كليات في علم الرجال للشيخ السبحاني.

النوري إقحاماً في أدلة التحريف »[٢٢] .

ويقول السيد البروجردي: « إن الروايات التي دلت على وقوع التحريف أخذت من كتب لا اعتماد عليها . . . وعدة منها لا ربط لها بالمقام، بل راجعة إلى كيفية اختلاف القراءات، وعدة منها مقطوع بكذبها »[٢٣] .

٤ / ١ / ٢- تأويل علماء الشيعة للروايات الموهمة لنقص في القرآن الكريم:

في كتب روايات الشيعة وفي كتب الحديث عند أهل السنة نصوص توهم أن بعض العبارات التي كان أصحاب النبي ﷺ يظنونها من القرآن الكريم لم تثبت في النص، المتفق على صحته، لكتاب الله تعالى بين جميع المسلمين.

وجمهور علماء أهل السنة على أن ما صح من الروايات عن الصحابة في هذا الباب إما أنه من وجوه القراءات الشاذة، أو مما نسخت تلاوته وحكمه، أو مما نسخت تلاوته وبقي حكمه.

---

(٢٢) المحقق جعفر السبحاني، مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه، د.ت، ودون مكان نشر، ص ٧٦ .

(٢٣) تقريرات الشيخ علي الاشتهاردي في أصول الفقه نقلاً عن السيد البروجردي ص ٢٥٧-٢٥٨، والكتاب طبع طهران، د.ت.

أما علماء الشيعة فيذهبون إلى أن هذه الروايات من التفسير الذي علَّمهُ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وعلمه النبي لأصحابه، مصداقاً لقول الله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝ ﴾ [القيامة: ١٧-١٩]. فقد نقل في « الكافي » عن الإمام جعفر الصادق قوله: « ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأَرْشُ الخدوش »[٢٤] وقال « العلائي » في (إعلام الخلف) : « فلا ريب أن هذه الزيادات ليست من جنس القرآن وإنما هي تفسيرها أو تأويلها . . . وهذا الأمر لم يتكرر مرة أو مرتين بل كثر واستفاض . . . وكل هذه الأدلة والقرائن تقضي بفساد قول من قال إن تلك الروايات جزء من القرآن »[٢٥] .

٤ / ١ / ٣- مصحف فاطمة:

أشرت آنفاً إلى قول الإمام جعفر الصادق عن مصحف فاطمة إنه ليس فيه قرآن، وإنما الذي فيه تفسير مما جاء به جبريل عليه السلام، وأخبر به النبي ﷺ . ويستدل الشيعة على ذلك بأن رسول الله ﷺ

---

(٢٤) الكافي، ج١ ص ٢٤٠، ح٣، طبعة دار الكتب الإسلامية، بيروت، د.ت. والأرش هو التعويض عن الجراح .

(٢٥) العلائي، المصدر السابق، ص ٧٧-٧٩، باختصار اقتصرنا فيه على موضع الاستدلال.

أنزل عليه القرآن، وأوحي إليه غير القرآن. ومما أوحي إليه من غير القرآن ما تضمنه الكتاب الذي يسمونه (مصحف فاطمة)، الذي يقولون إن فيه علم من ملك ومن سيملك، يعني فيه إخبار عن أمور مستقبلية لكنها ليست مما أخبر عنه القرآن الكريم[٢٦] وهم يقولون إن تسميته مصحفاً ليست من باب وصف ما فيه بأنه من القرآن؛ لأن كلمة مصحف كلمة محدثة، وليست من أسماء القرآن أصلاً، وإنما هي اسم لما جمع بين دفتي كتاب، مكتوباً في صحف. وقد سمى الله تبارك اسمه الوحي المتلو: قرآناً وكتاباً وذكراً وفرقاناً، ولكنه لم يسمه مصحفًا، الأمر الذي يعني أن كلمة مصحف في الاستعمال العربي الأصلي لاتدل على القرآن دون غيره من الكتب.

وأيًا ما كان القول في تسمية الكتاب المذكور بمصحف فاطمة، أو تسمية كتاب آخر باسم المصحف، فإن المتفق عليه بين الشيعة والسنة أن القرآن الكريم الذي في أيدي الناس هو ما نزل على محمد ﷺ من القرآن كاملاً غير منقوص. قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة ولإيلاف

(٢٦) العلائي، المصدر السابق، ص ١٢٤.

وألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب»[٢٧].

وقد نقل القول بصحة نص القرآن الذي بين أيدينا وكماله، وأنه هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ بلا زيادة ولا نقصان، صادق العلائي في كتابه (إعلام الخلف) عن سبعة وعشرين إماماً من أئمة الشيعة بألفاظ متقاربة في الصفحات من ١١٠ إلى ١٢١.

وعقّب فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي على هذا الأمر ـ بعد ذكره كلام بعض أئمة الشيعة ـ بقوله: «فهذا القدر الذي اتفقنا عليه هو الذي يلزمنا، وهو المفروض علينا اتباعه والعمل به، وعدم الإخلال بأي جزء منه ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠][٢٨] ونقل

(٢٧) الشيخ الصدوق هو شيخ المحدثين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، وهو أحد كبار أئمة الشيعة الإمامية وكان أبوه معاصراً للإمام الكليني صاحب الكافي وماتا في عام واحد سنة ٣٢٩هـ.؛ والنص المذكور منقول من كتاب الاعتقادات ص ٥٩-٦٠ وقد نقله الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق وعنه نقله الشيخ يوسف القرضاوي في المصدر السابق، ص ٧٩، كما نقله العلائي في إعلام الخلف ص ١٠٢.

(٢٨) يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص ٢٩.

عدداً من أقوال علماء الشيعة في كمال القرآن وتمامه على ما هو موجود بين أيدي الناس[٢٩].

وقد أفاض أخونا العلامة الأستاذ سالم البهنساوي، رحمه الله، في رد دعوى أن الشيعة الجعفرية الاثنا عشرية يقولون بتحريف القرآن، وأنكرها ناقلاً نقولاً عديدة عن أئمة الشيعة في مختلف العصور إلى عصرنا الحاضر[٣٠].

ويقطع بذلك أننا لا نجد بين أيدي الشيعة ولا في مكتباتهم مصحفاً غير مصحف سائر المسلمين. وللشيعة دولة في إيران قائمة منذ سنة ١٩٧٩م، وقد طبع المصحف طبعات عديدة ـ عندي بعضها ـ على النحو الذي يطبع به المصحف في كل بلاد الإسلام وكل مجتمعات المسلمين. فلا يجوز أن ينسب إلى الشيعة القول بتحريف القرآن أو نقصانه أو وجود قرآن غير قرآن عامة المسلمين عندهم.

ويجمع بيننا وبين إخواننا الشيعة الإمامية الالتزام بالأحكام العملية من صلاة وصيام وزكاة وحج. والاختلاف بيننا وبينهم فيها كالاختلاف بين مذاهب أهل السنة بعضها وبعض في الفروع الفقهية

---

(٢٩) يوسف القرضاوي، المصدر نفسه، ص ٧٨-٨١.

(٣٠) السنة المفترى عليها، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٩م، ص ٦٠-٧٥.

أو في أصول الاستدلال. وقد قام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران بإصدار سلسلة كتب عن أركان الإسلام الأربعة (الصلاة والصوم والحج والزكاة) والأدلة المشتركة فيها بين السنة والشيعة، وأصدر كتابًا خاصًّا بالأحاديث القدسية المشتركة[٣١] وكانت نتيجة هذا الجهد العلمي أن تبين لأهل العلم اشتراك المذهبين في نحو ٩٠٪ من متون الأدلة المروية في شأن الأركان الأربعة. أما الأحاديث القدسية المشتركة فعددها ٤١٢ حديثاً[٣٢].

وهذا الاتفاق في الأدلة يؤكد صحة ما قرره العلامة الشيخ يوسف القرضاوي عندما قال: «إن الفقهين في النهاية يتقاربان إلى حد كبير لأن المصدر الأصلي واحد وهو الوحي الإلهي المتمثل في القرآن والسنة، والأهداف الأساسية والمقاصد الكلية للدين واحدة عند الفريقين وهي إقامة عدل الله ورحمته»[٣٣].

* * * * *

---

(٣١) صدر كتاب الأحاديث القدسية سنة ٢٠٠٥ وطبع في الدار الإسلامية ببيروت، أما كتب الأركان الأربعة فقد صدرت سنة ٢٠٠٣ وطبعت في طهران.

(٣٢) ومجموع الأحاديث القدسية في الكتب الستة وموطأ مالك ٣٩٩ حديثاً.

(٣٣) القرضاوي، المصدر السابق، ص ٣١

٥- عقائد للشيعة لا يقرها السنة:

يعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن الإمامة منصبٌ إلهي يثبت لصاحبه بالنص من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه، ثم من كل إمام إلى من بعده من الأئمة إلى أن يصل الأمر إلى الإمام الثاني عشر، محمد بن الحسن العسكري، المهدي المنتظر[٣٤].

وبغير هذا الاعتقاد لا يكون المسلم شيعيًّا.

وأهل السنة لا يقرون بهذه العقيدة، ويرون أن مسألة الإمامة أو الخلافة لا نص فيها، بل تركها النبي ﷺ شورى بين المسلمين، ليختاروا من يرونه صالحاً لها باجتهادهم في كل عصر من العصور[٣٥].

ومسألة الخلافة، أو الإمامة، عند أهل السنة من مسائل الفروع الفقهية وليست من مسائل الاعتقاد. ولا تثريب على الشيعة إذا عدوها من المسائل الاعتقادية ولا تثريب على السنة إذا عدوها من المسائل الفرعية. والثابت أن الشيعة الإمامية يعتقدون أن أهل السنة مع الشيعة أمة واحدة تجمعهم أخوة الإيمان وأنهم جميعاً من أهل

(٣٤) آية الله محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، القاهرة ١٩٥٨، ص ١٥٨.

(٣٥) محمد سليم العوّا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق ٢٠٠٦، ص ٦٥.

القبلة، دماؤهم وأموالهم وأعراضهم حرام بحرمة الإسلام، وتثبت لهم ولديارهم جميع أحكام المسلمين. وهم يرون أن المرء يكون مؤمناً إذا اعتقد في التوحيد والنبوة والمعاد التي يصفونها بأنها أصول الدين الثلاثة[٣٦].

وعند التعرض لمسألة الإمامة أو الخلافة يجب أن نتوقف عند اجتهادات أربعة ظهرت في الفقه الشيعي فغيَّرت - إلى حد كبير - من الفكرة الأصلية للإمامة المنصوص عليها.

الاجتهاد الأول: هو اجتهاد آية الله خوميني في مسألة ولاية الفقيه الذي انتهى إلى جواز إقامة الدولة الإسلامية إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل[٣٧].

والاجتهاد الثاني: هو اجتهاد آية الله شريعتمداري، رحمه الله، الذي رأى أن للشعب أن يحكم نفسه بنفسه وينتخب ممثليه للبرلمان بالاقتراع الحر. وعندما يقر البرلمان القوانين لابد أن يراعي رأي الأكثرية وعدم جواز مخالفة هذه القوانين للإسلام لأن الأكثرية من أهل البلاد هم من المسلمين. ورأى شريعتمداري أنه لا يجوز أن يحكم فرد واحد أو طبقة واحدة. أي إنه وقف معارضاً معارضة صريحة نظرية

(٣٦) محمد واعظ زاده، أهل السنة عند الشيعة الإمامية، بحث سبق ذكره، ص ٣١-٣٢.

(٣٧) محمد سليم العوّا، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

ولاية الفقيه التي قال بها آية الله خوميني، ووضع على أساسها دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية[٣٨].

والاجتهاد الثالث: هو اجتهاد صديقنا الجليل العلامة آية الله محمد مهدي شمس الدين، رحمه الله، الذي نادى بنظرية سماها (ولاية الأمة على نفسها)، حاصلها أنه في عصر الغيبة الكبرى للإمام المعصوم، ومع عدم وجود خليفة على النحو الذي يقرر وجوبه أهل السنة، فإن أمر الولاية يعود إلى الأمة بحيث يكون لها أن تختار حاكمها بالانتخاب الحر وتحدد سلطاته ومدة ولايته، واستدل على ذلك بأدلة من القرآن والسنة والعقل[٣٩].

والاجتهاد الرابع: هو اجتهاد آية الله محمد حسين منتظري الذي أفتى بأن سبب استقرار الحكم هو رضا الأمة، وأصل ضرورة الحكومة لاريب فيه، والولاية المطلقة للفرد غير المعصوم ربما توجب استبداده في أعماله وأحكامه، وأن يتدخل فيما ليس متخصصاً فيه. فعلى الناس أن ينتخبوا للحكم من يكون خبيراً بمختلف الأمور ولهم أن يشترطوا في انتخابهم إياه مدة خاصة. ومدة حكم غير المعصوم

(٣٨) محمد سليم العوّا، المصدر السابق، ص ٢٦٥.
(٣٩) محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط ٤، المؤسسة الدولية، بيروت ١٩٩٥، ص ٤٠٧ وما بعدها.

وسلطاته تابعتان لانتخاب الناس حدوثاً وبقاء. واستدل منتظري على صحة هذا الاجتهاد بقول الله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]. وبقوله سبحانه مخاطباً الرسول ﷺ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩][٤٠] وهذا الاستدلال بآيتي آل عمران والشورى هو نفسه الذي يورده فقهاء أهل السنة للدلالة على حق الأمة في اختيار حاكمها وتوليته.

ولكل من هذه الاجتهادات أهميته غير المنكورة في تطوير الفكر السياسي الشيعي. لكن اجتهاد آية الله منتظري، بلا ريب، أهم من غيره. ذلك بسبب مكانته العلمية بين مراجع التقليد الأحياء، وبسبب تقليد الأغلبية العظمى من أعضاء البرلمان الإيراني، والوزراء، وجمهور الناس، في إيران، له.

ومن واجب علماء أهل السنة، لاسيما المختصون منهم في الفقه السياسي والمهتمون به، متابعة هذه الاجتهادات ونظائرها لدى فقهاء الشيعة الإمامية سعياً للتقريب بين الفرقتين الكبيرتين في الأمر الذي كان سبب افتراقهما، والذي كان سبب أول خلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ، كما قال الإمام أبو الحسن الأشعري.

(٤٠) فتوى منشورة على موقع آية الله منتظري على الشبكة الدولية للمعلومات في أجوبته على أسئلة موقع المعصومين.

ومن عقائد الشيعة التي لا يقرها أهل السنة عقيدة المهدية. وهي تقوم على أن الإمام محمد بن الحسن العسكري، الثاني عشر من أئمة الشيعة سيعود في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. وهم يعتقدون أن الإمام الثاني عشر دخل سرداباً في سر من رأى (سامراء) بعد موت أبيه، وعمره سنتان أو ثلاث سنين أو خمس سنين على اختلاف الأقوال، وأنه اختار هذه الغيبة بأمر من الله تعالى وذلك في سنة ٢٦٠هـ بعد استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري. وللمهدي عند الإمامية غيبتان، غيبة صغرى وغيبة كبرى، بدأت الأولى سنة ٢٦٠هـ وانتهت سنة ٣٢٩هـ وسميت بالغيبة الصغرى لأن الإمام الغائب كان له في هذه السنين نواب أربعة هم بالترتيب: عثمان بن سعيد العمري ثم ابنه محمد بن عثمان بن سعيد، ثم أبو القاسم حسين بن روح النوبختي، ثم علي بن محمد السمري الذي توفي سنة ٣٢٩هـ. فاستمرت الغيبة الصغرى سبعين عامًا، وبدأت بعدها الغيبة الكبرى التي ستستمر إلى أن يأذن الله تعالى[٤١].

ويحتج علماء الشيعة على صحة هذه العقيدة بروايات بعضها أخرجه المصنفون من أهل السنة كالترمذي وأبي داود.

---

(٤١) السيد محمد حسين الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، مؤسسة البعثة، طهران د.ت، ص ١٩٤.

والواقع أن أديانًا وعقائد كثيرة في العالم تؤمن بمصلح يظهر في وقت ما لينجي البشرية مما هي فيه من ضلال وتخبط[٤٢] والفارق بين عقيدة الشيعة الإمامية وعقيدة غيرهم من المسلمين في مسألة المهدي أن الشيعة يرون المهدي شخصاً معيناً وجد في لحظة تاريخية ثم اختفى ليظهر في وقت لا يعلمه إلا الله ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. وأهل السنة يذهبون إلى ما جاءت به ظواهر الروايات عن المهدي من أنه سيظهر في آخر الزمان ليجدد أمر الدين ويتولى إمرة المسلمين، وهو الزمن الذي يكون فيه الدجال وينزل فيه عيسى ابن مريم عليه السلام، ومهدي أهل السنة غير معصوم خلافاً لمهدي الشيعة[٤٣].

ويذهب الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد إلى أن عقيدة المهدي عقيدة غامضة لأن الشيعة الإمامية لا يذكرون شيئاً محدداً عن حياة الإمام الثاني عشر وصورته وسيرته في الناس، كما لا يذكرون سبب اختفائه أو الحكمة منه، ولا يروون شيئاً واضحاً في شأنه منقولاً عن وكلائه الأربعة[٤٤].

---

(٤٢) الطباطبائي، المصدر السابق، ص ١٩٦.

(٤٣) أحمد محمد أحمد جلي، المرجع السابق، ص ١٦١.

(٤٤) أحمد كمال أبو المجد، المرجع السابق، ص ٢٨٠.

بل إن أحداً من الناس لم يفلح في لقائه والاتصال به إلا الخواص من الشيعة في أحوال استثنائية[٤٥] ولا يقدم الفكر الشيعي شيئاً ذا بال في تأكيد هذه العقيدة، أعني عقيدة غيبة المهدي؛ فالعلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء لا يزيد على قوله: «ليت شعري هل يريد أولئك القوم (يقصد المتسائلين عن الحكمة في بقاء المهدي واستمرار غيبته) أن يصلوا إلى جميع الحكم الربانية والمصالح الإلهية»[٤٦].

أما العلامة الطباطبائي فيقول في هذا الشأن: «إن مثل هؤلاء لم يدركوا حقيقة معنى الإمامة... فالإمام فضلاً عن توليه إرشاد الناس الظاهري يتصف بالولاية والإرشاد الباطني للأعمال أيضاً، وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس، ويتقدم بحقائق الأعمال إلى الله جل شأنه. وبديهي أن حضور أو غيبة الإمام الجسماني في هذا المضمار ليس له أي تأثير، والإمام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس ويشرف عليها وإن بعد عن الأنظار وخفي عن الأبصار»[٤٧].

ولئلا ندخل في جدل لا طائل تحته فإننا نقول: إن من شاء أن

(٤٥) الطباطبائي، المصدر السابق، ص ١٩٤.
(٤٦) نقله أحمد كمال أبو المجد في المرجع السابق، ص ٢٨١.
(٤٧) الطباطبائي، المرجع السابق، ص ١٩٩.

يؤمن بمسألة المهدي ومجيئه في آخر الزمان، كما يقول جمهور أهل السنة، فلا تثريب عليه؛ ومن آمن بعقيدة المهدية والغيبة والرجعة، كما يقوله جمهور الشيعة الإمامية، فهذا شأنه. والمسألة كلها لامدخل لها في الإيمان أو الكفر وهي وإن كانت عند الإمامية من العقائد فليست عند أهل السنة كذلك، فلا مسوغ لاتخاذها مادة للخلاف والاختلاف

ويؤمن الشيعة الإمامية بعصمة الأئمة الاثنا عشر بمعنى أن كل إمام منهم معصوم عن مقارفة الكبائر أو الوقوع في الصغائر. وهذه العقيدة فرع لاعتقادهم أن الإمامة منصب إلهي ينوب فيه الإمام عن النبي ﷺ، ولذلك لا يُجَوِّزون على الأئمة السهو أو النسيان أوالخطأ في أي شأن ديني[٤٨].

وأهل السنة لا يرون العصمة لأحد من الناس بعد النبي ﷺ. بل يرون أن العصمة تنافي البشرية وهي لم تثبت للأنبياء إلا باختيار الله تبارك وتعالى لهم كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]. أما من سوى الأنبياء فلا

(٤٨) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، النجف ١٩٧٢، ص٦٧؛ الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ط. تبريز ١٣٧١هـ، ص ٣٥.

يمكن إثبات العصمة لهم عند أهل السنة.

ويؤمن الشيعة الإمامية بالتقية وهي في معناها العام أن يضمر المسلم غير ما يعلن دفاعاً عن نفسه واتقاء لخطر لا يقدر على دفعه. ويؤسس علماء الإمامية القول بالتقية على مثل قول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨]، و﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ويذهب بعض أئمة الشيعة إلى أن التقية لا تجوز إلا إذا كان الأمر متعلقاً بضرر يقع على النفس، أو الغير، ويراد حمايتها منه في مجال فروع الأحكام، أما إذا كان الإسلام نفسه في خطر، فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت تحت شعار «التقية ديني ودين آبائي»، لأن الخطر العام على الإسلام ليس من موارد التقية أو من مواضعها[٤٩].

وبعض علماء الشيعة يرون أن التقية قد تكون واجبة أحياناً، وقد يكون فعلها أفضل من تركها في أحيان أخرى، وقد يكون تركها أفضل من فعلها[٥٠].

(٤٩) آية الله خوميني، الحكومة الإسلامية، ط ١، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٤٢.

(٥٠) الشيخ المفيد، المرجع السابق، ص ٩٦.

وأهل السنة وإن كانوا لا يقولون بالتقية على النحو الذي يقول به علماء الشيعة إلا أنهم يعملون بغير جدال، بمقتضى الآيتين القرآنيتين سالفتي الذكر.

و لاشك أن الإنسان مكلف أن يدرأ عن نفسه الظلم، وفي الحديث الصحيح «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»[٥١] والمعاريض يعني أن تعرض بكلام يفهم منه السامع شيئًا وأنت تريد أن تقول شيئًا آخر. ولما سئل الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى بدر: ممن القوم؟ قال: «نحن من ماء». فتعجب الصحابة، وقالوا: يا رسول الله، قلت نحن من ماء ألسنا من قريش؟ قال: أليس الله قد خلق كل بشر من ماء؟[٥٢].

هذا هو التعريض، هو يريد أن الله خلق كل بشر من ماء، والسائل فهم أنهم من قبيلة من القبائل التي اسمها بنو ماء كذا أو كذا وهي قبائل عدة. فهم السائل ما فهم، والنبي ﷺ أراد ما في قلبه ونفسه.

فهذا المسألة لا ينبغي الوقوف عندها، أو اصطناع خلاف بسببها بين السنة والشيعة.

(٥١) رواه البيهقي في سننه عن عمران بن حصين.

(٥٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٤، القاهرة ١٩٩٣، ص ٤٤. وفيه أن السائل انصرف وهو يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ والنص في المتن مما حفظناه في الصغر وغاب عني مصدره الآن.

٦- مسألة سب الصحابة:

سب الصحابة مسلك وليس عقيدة. وهو مسلك يختلف فيه أهل السنة مع الشيعة اختلافاً كبيراً. يقول الشيخ القرضاوي: «تبقى المشكلة في سب الصحابة.... وهذه هي النقطة الحساسة، الشديدة الحساسية بيننا وبين إخواننا الشيعة، فليس يمكن أن نتفاهم ونتقارب فيما بيننا وأنا أقول أبو بكر رضي الله عنه وأنت تقول أبو بكر لعنه الله!! فكم من الفرق البعيد بين الترضي عن شخص وقذفه باللعنة»(٥٣).

وأهل السنة لا يسبون أحداً من الصحابة. ولا شك أن هذا المسلك نتيجة من نتائج التعصب المذموم. يقول الحافظ الذهبي عن تعصب أنصار معاوية له وتعصبهم ضد علي رضي الله عنه، وتعصب أصحاب علي له وبغضهم من بغى عليه وتبريهم منه: «فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلاغالياً في الحب أو مفرطاً في البغض. ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟ فنحمد الله على العافية الذي أوجدنا في زمان قد امحص (أي: ظهر) فيه الحق، واتضح من الطرفين، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا،

(٥٣) القرضاوي، المرجع السابق، ٣٨-٣٩.

واستغفرنا، وأحببنا باقتصاد، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور، وقلنا كما علّمنا الله ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر:١٠] وترضّينا أيضاً عَمَّنْ اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق. وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علياً وكفروا الفريقين...»(٥٤).

ونحن نُخَطِّئُ من يسب الصحابة لاسيما من مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ كالخلفاء الأربعة والمبشرين بالجنة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وننسبه إلى سوء الأدب مع خير القرون، ونقلة القرآن، وحملة السنة، ومعلمي الخلق دين الحق. والسب أمر جلل يدخل أصحابه في فسق التأويل وإن كانت الشبهات التي تقوم في ظنهم تبعدهم عن دائرة الكفر(٥٥).

(٥٤) الإمام شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٢، ج٣ ص ١٢٨.

(٥٥) القرضاوي، المرجع السابق، ص٧٧ وقد نقل في الصفحات من ٨٣-٨٧ أقوال علماء أهل السنة لاسيما الاحناف بعدم كفر من يسب الصحابة وإن كان يحكم عليه بالفسق أو بالضلال، بل قال بعض العلماء إن القول بكفر من سب الصحابة بناء على تأويل فاسد مخالف لإجماع الفقهاء

والحق أن هذا الأمر قد بدأ يتغير؛ فقد أثبت الشيخ القرضاوي[٥٦] أن الاتجاه إلى الكف عن سب الصحابة يقوى في إيران وينتشر شيئاً فشيئاً، حتى إن المناهج الدراسية الجديدة تذكر في بعض كتبها مواقف تاريخية لأبي بكر وعمر فيها تمجيدٌ لهما وثناءٌ عليهما. وللإمام خوميني فتوى أصدرها في أول عهد الجمهورية الإسلامية الإيرانية صرَّح فيها بكفر من يلعن الصحابة رضوان الله عليهم[٥٧].

وقد حدثني فضيلة الأخ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية أن كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي قد طبع في بيروت طبعة جديدة في ١١٠ مجلداً حذف الناشرون منها المجلدات من ٢٩ إلى ٣٣، ولما سأل فضيلته عن سبب هذا الحذف أُخْبِرَ بأن هذه المجلدات هي التي تتضمن سباً للصحابة - رضوان الله عليهم - وقدحاً فيهم. وأن الناشرين رأوا أن إبقاءها فتنة لا يقبلون المشاركة فيها. وحذفها مع تعديل الترقيم عدم أمانة لأنه يشعر بعدم وجودها أصلاً. فرأوا حذفها وإبقاء أرقام أجزاء الكتاب غير متصلة بنقص الأرقام من ٢٩ إلى ٣٣ ليدل هذا النقص في الأرقام على حذفهم مواضع سب

(٥٦) القرضاوي، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٥٧) أخبرني بذلك أخي الأستاذ الجليل الدكتور محمد هيثم الخياط، حفظه الله.

الصحابة الذي لا يرونه جائزاً. وهؤلاء الناشرون من الشيعة الإمامية. وقد قال لي فضيلة الأخ الدكتور علي جمعة. إن هذه الطبعة في مكتبته، وإن لديه نسخة من الطبعة الحجرية القديمة المطبوعة في إيران في ٢٥ مجلداً وفيها نصوص الأجزاء المحذوفة من الطبعة اللبنانية[٥٨].

والذي يجب أن يقال لإخواننا الشيعة إن السب في ذاته ليس أمراً حسناً فالمؤمن ليس سباباً ولا لعاناً، وإذا كان القرآن الكريم ينهى المؤمنين عن سب الأوثان لئلا يثير ذلك حفيظة المشركين ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] والنبي ﷺ يتكرر في أحاديثه النهي عن السب، حتى إن بعضها فيه النهي عن سب الشيطان(!)[٥٩] فإن سب أصحاب رسول الله ﷺ لاشك أنه أعظم خطراً وأسوأ أثراً في نفوس المؤمنين بالنبي ورسالته من أثر سب الأوثان في نفوس عبادها وأهلها، فكيف يسوِّغُ مسلم لنفسه أن يقع في هذه الخطيئة الشنيعة؟ ولو لم يكن من أثر هذا السب إلا أنه يفرق أمر الأمة، ويورث العداوة والبغضاء في نفوس بعض أبنائها لبعض

(٥٨) حدثني فضيلة الدكتور علي جمعة بذلك مهاتفة يوم الأربعاء ١٣ شعبان ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦/٩/٦م من مكتبه في دار الإفتاء وكنت في بيتي بمدينة نصر.

(٥٩) القرضاوي، المصدر السابق، ص ٤٦، حيث أورد عدة أحاديث مما فيه النهي عن السب من كتاب صحيح الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الألباني.

لكان ذلك كافياً في تحريمه. فكيف وفيه كل ما ذكرناه من مخالفة للقرآن والسنة الصحيحة؟

* * * * *

٧- السياسة في البدء والمنتهى:

نشأت فُرقةٌ سياسيةٌ، في أول الأمر، أدت إلى نشوء هذه الفرق الثلاث: أهل السنة والجماعة، والشيعة، والخوارج. ونشأت فُرْقَةٌ سياسيةٌ حديثة في عصرنا أدت إلى ما نحن فيه اليوم، من نزاع بين السنة والشيعة.

بدأت الفُرْقَةُ الحديثةُ بالثورة الإيرانية، التي قامتْ ضد صاحب أقوى جيش في المنطقة وخامس جيش في العالم، وأكبر حليف للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وهو شاه إيران، واستطاعت بعد سنوات من الثورة وبعد آلاف من الشهداء أن تسقطه وتقيم الجمهورية الإسلامية الإيرانية على أساس نظرية ولاية الفقيه.

ووقف المسلمون ـ الشعوب ـ يؤيدون بقلوبهم هذه الثورة، وأيَّدها كثيرون بأقلامهم وألسنتهم أيضاً. ووقف الحكام المسلمون جميعًا يقولون بلسان أحدهم، رحمه الله: «نحن مع الشرعية في إيران»(!)

وكانت هذه الكلمة قاصمة الظهر في العلاقة بيننا وبين الشعب الإيراني. لقد اعتبر الإيرانيون أننا مع شرعية الحكم الإمبراطوري، نقف مع الشاه ومع حكومته، ومع جيشه الذي كان يضرب بالنار والحديد، ويقصف المتظاهرين من الجو بالطائرات؛ ولذلك بقيت العلاقات بين بلد هذا الحاكم الذي قال «نحن مع الشرعية في إيران» وبين إيران مقطوعة إلى أن وقع احتلال العراق للكويت سنة ١٩٩٠م، فأعيدت العلاقات بعد الاحتلال لأسباب لا تخفى.

قامت الثورة الإسلامية في إيران ونجحت في فبراير ١٩٧٩م، وفي عام ١٩٨٠م بدأت الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت إلى سنة ١٩٨٩م. تسع سنوات من القتال المستمر بين الإيرانيين والعراقيين، لم يكن قتالا سنيًّا شيعيًّا قطعًا، لكنه لُبِّس هذا الثوب ظلمًا وعدوانًا، ونشرت بعض الدول كتبًا عن الفرس المجوس، وكانت خطب القادة العراقيين مليئة بهذه الكلمات الباطلة يصفون بها إخواننا المسلمين أهل القبلة والملة، أهل الشهادتين، والقرآن، والحج، والزكاة، من الشيعة الذين عددهم من أهل العراق كعدد أهل السنة أو يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً.

وافترق الشعب العربي بسبب هذه الحرب، ولم يعد على قلب رجل واحد كما كان مع الثورة الإيرانية عند قيامها، افترق الناس إلى

فرقتين؛ فرقة تقول: نحن نؤيد العرب ضد العجم، هذه حرب عربية فارسية، وفرقة تقول: هذه حرب ضد الدولة الإسلامية التي انتصرت على الشاه؛ وحدثت أول فُرقة في الموضوع بعد اجتماع الشعوب الإسلامية على مناصرة الثورة الإسلامية وتأييدها.

٧ / ١ -المقاومة الإسلامية في لبنان:

ثم جاءت الفُرقة الثانية بعد الاحتلال الصهيونى لجنوب لبنان سنة ١٩٨٢م.

مع بدايات الاحتلال نشأ الحزب الذي نعرفه اليوم باسم (حزب الله)[٦٠] ، وكوَّن جيلا من الشباب أخذ يقاوم الاحتلال من سنة ١٩٨٢م إلى ٢٠٠٠م، وأجبر الجيش الصهيوني على أن يخرج من لبنان قبل الموعد الذي كان أعلنه لانسحابه بنحو شهر، وأن يخرج في منتصف الليل هاربًا وآخذاً معه عملاءه من جيش أنطوان لحد وغيرهم، ممن كانوا يساعدون المحتلين الصهاينة، إلى إسرائيل. وهناك أسكن الصهاينة عملاءهم في أكواخ من الصفيح، ورأيناهم على شاشات التلفزيون يعامَلون معاملة الحيوانات عندما طالبوا بالحصول

(٦٠) محمد سليم العوّا، مواقف وشخصيات مصرية وعربية، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٤، الفصول أرقام من ١٥ إلى ١٩ .

على بعض حقوق الآدميين ممن خانوا بلادهم وقومهم لحسابهم!

وانتصر حزب الله لأول مرة في سنة ٢٠٠٠م على الصهاينة.

كانت أول مرة ينتصر شعب على الجيش الصهيوني ويخرجه بليل فارًّا من أرض احتلها.

ولم تنس إسرائيل هذه الهزيمة، بل لم تنس هذه الفضيحة، فعادت سنة ٢٠٠٦م، متذرعة بأسر الجنديين الصهيونيين في ١١ /٧/ ٢٠٠٦م، لتحدث هذه المعركة الكبيرة التي عشناها جميعاً، ٣٣ يومًا؛ وانتهت بما نعرفه من تألُّمِهِمْ ألمًا أضعاف ألمنا يقول ربنا تعالى اسمه: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: ١٠٤] هذا القتال الذي وقع آلمهم كما آلمنا، والفرق في عدد القتلى من حزب الله ومن العسكريين الإسرائيليين إما بضع عشرات وإما أقل من ذلك، وبالنسبة للإسرائيليين هذه مصيبة كبرى، لكن بالنسبة إلينا قتلانا يرتفعون شهداء وقديماً علَّم رسول الله ﷺ عمر ابن الخطاب أن يرد على أبي سفيان يوم أحد قائلاً: «ليسوا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار».

ومن قريب قال السيد حسن نصر الله، أمين عام حزب الله، عن ابنه هادى لما استشهد في مقاومة العدو الصهيوني: «نحن نربي

أبناءنا ليرتفعوا شهداء لا ليكونوا قادة أو زعماء». فهذا الشعور الذي عند المسلمين، وعند قادة المسلمين، غير موجود عند الصهاينة. فألمهم أضعاف ألمنا. ورجاؤنا من الله سبحانه وتعالى رجاءٌ حلو الطعم، طيب العاقبة، لا يعرفونه ولا يدركون أثره في نفس المسلم الصادق.

في هذه الحرب وقفت الأمة الإسلامية والشعوب الإسلامية كلها مع المقاومين في لبنان، وقال القائلون ـ من الحاكمين وتابعيهم ـ (هذه مغامرة غير محسوبة) وقال القائلون (الذي خسر هو لبنان) وقال القائلون (دمار لبنان أكبر كارثة دمرت البيئة والمدنية وبقعة الزيت ستدمر الثورة السمكية في البحر) قالوا ما شاءوا لكن شعور كل فرد منا، شعور كل امرأة، شعور كل طفل كان ـ ولا يزال ـ أن هذا الذي حدث في لبنان رد إلينا كرامتنا، ورفع رؤوسنا، وجعلنا نتعلم درسًا غاليًا جدًا كان على طرف الثمام منا ولكننا لا نعرفه: إنه لا يوجد عدو لا يقهر، لا يوجد عدو لا نستطيع أن نحاربه، لا يوجد عدو يجوز لرئيس وزراء بلد عربي مسلم أن يقول عنه: «لا ينبغي أن نتوهم قدرتنا على محاربته»، كما قال رئيس وزراء إحدى البلدان العريقة في عداوتها للصهيونية؛ وبالجملة: لقد علمتنا المقاومة في لبنان أنه لا يوجد عدو فوق الطاقة، إذا وجدت في نفسك الرغبة في

المقاومة هزمت أي عدو كان. وهذا ما فعله إخواننا من حزب الله ومن غيرهم من المقاومين في لبنان.

وينبغي هنا، في ملئكم الكريم هذا، أن أقول: إن المقاومة لم تقتصر على رجال حزب الله الأبطال وإنما انضم إليهم كثيرون من أبناء السنة، وكان ذلك بعد اجتماع علماء السنة في أوائل أيام الحرب الذي أصدروا فيه بيانًا بوجوب المقاومة وبشرعيتها، فانضم كثير من أبناء السنة إلى المقاومة في الجنوب اللبناني وفي غيره. بل لقد كان عدد من المسيحيين اللبنانيين بطوائفهم كافة، ومن الدروز اللبنانيين، يقفون في صف المقاومة، وبعضهم كان يعمل معها في مجالات الخدمات الطبية والإغاثية معرضاً نفسه لخطر عظيم نصرةً لوطنه وقضية حريته، ونصرةً لإخوان الوطن كذلك.

* * * * *

٧ / ٢ - إيران والتقنية النووية:

فتح ملف إيران النووي منذ سنة ٢٠٠٢م ومنذ ذلك الوقت والكلام حوله يعلو ويخفت، وبدأنا نرى، في أثناء الحرب العدوانية الصهيونية على لبنان، اللعب الإيراني المتقن في عالم السياسة، والمعابثة (من العبث) غير المسبوقة من جانب الإيرانيين للأمريكان.

كان آخرها ما فعله رئيس الجمهورية الإيرانية أحمدي نجاد، عندما أعلن قبل أيام أنه يريد مناظرة الرئيس الأمريكي.

إن المتابع للإعلام الأمريكي يعرف أنهم يقيمون المناظرات لعرض وجهتي النظر في أي موضوع: في الانتخابات مناظرات بين المرشحين، في الكنائس مناظرات بين القساوسة، في اختلاف الأديان مناظرات بين شيوخ وقساوسة،في الجامعات والأحزاب والنوادي... معظم العمل الثقافي الإعلامي الأمريكي يدور حول هذه المناظرة أو تلك.

جاء أحمدى نجاد وقال: أريد مناظرة جورج بوش على التلفزيون الأمريكي! وبعد دقائق قليلة صدر تصريح من مكتب جورج بوش يقول: أنا أرفض المناظرة!!

رفض رئيس أكبر دولة في العالم، جورج بوش، المفوض من العناية الإلهية لنشر الديمقراطية(!) مناظرة أحمدي نجاد؛ لأن جورج بوش أضعف من أن يواجه رجلا امتلأ بالإيمان قلبه، وتحدث بالحق لسانه، ووقف يواجه أكبر قوة في العالم دون خوف ولا تردد. وهذا درس ثانٍ تعلمناه، جَعَلَ الأمة الإسلامية، شبابها وبناتها يلتفون حول إخوانهم في إيران ويقولون: إيران هي الدولة الممثلة للأمة الإسلامية في زمننا هذا.

هذا كله يقنعنا بحقنا في مقاومة عدونا، وبحقنا في أن نحصل على أعلى تقنية وأحدثها. لقد كان في مصر مفاعل نووي في الخمسينيات من القرن الماضي، وهو مغلق الآن لأننا توقفنا عن طلب حقنا في هذه التقنية، إنما الإيرانيون مصممون على أن يحصلوا عليها وسيصلون إلى الحصول عليها إن لم يكونوا قد وصلوا فعلا.

فأين تقف الأمة الإسلامية، وأين يقف العلماء، في مثل الحال التي وصفتها آنفاً؟ أيقفون في صف الحكومات المستكينة للمستبد الباغي أمريكيًّا كان أم صهيونيًّا؟ أم يقفون في صف المقاومين الذين يقدمون أرواحهم فداءً لما يؤمنون به من دين، ولما يعيشون فيه من وطن؟ الجواب لا يحتاج إلى كبير تفكر ولا إلى نوع عناء. الجواب: إن الدين والشرف والكرامة والرجولة والوطنية كلها تدعو أولي النهى وذوي الألباب إلى الوقوف في صف المقاومة عملاً وقولاً وعطاءً ودعاءً.

ومهما أغضب هذا عدونا، وآذاه، وأزعجه؛ فإننا نتقرب بذلك إلى الله عز وجل أولا، ونحافظ به على أوطاننا وهويتنا وكرامتنا ثانياً. وهذان هدفان لا يتنازل عنهما عاقل وهو مختار غير مكره.

* * * * *

٨- فرق تسد:

يصيب التحلل الجسم عند وفاته، عندما يموت الإنسان تتحلل أعضاؤه بمضي الزمن. أما الجسم القوى المتماسك فهو الجسم الحي، وأعداؤنا عرفوا ذلك فينا فأرادوا أن يصيبوا الأمة بالتحلل وهى حية، أرادوا أن يفرقوا كلمة المسلمين وهى جميع في أثناء حياة الأمة: فهؤلاء سنة وأولئك شيعة، وهؤلاء نوبة وأولئك من الدلتا، وهؤلاء مسلمون وأولئك مسيحيون، وهؤلاء موارنة وأولئك دروز، وهؤلاء أرثوذكس وأولئك كاثوليك، إلى آخر التفريقات العجيبة التي توهن قوتنا وتقتل عزيمتنا. وهي لا تقتصر على بلد دون آخر، هي تفعل فعلها في كل بلاد المسلمين. ففي المملكة العربية السعودية هؤلاء من نجد وأولئك من الحجاز ثم هؤلاء من المنطقة الشرقية، ثم في المنطقة الشرقية هؤلاء مسلمون سنة وأولئك من المسلمين الشيعة؛ وفي اليمن هؤلاء شوافع وأولئك زيود؛ وفي السودان هؤلاء عرب وأولئك زنوج؛ وفي العراق قسمة ضيزى بين السنة والشيعة والأكراد. والأكراد سنة كلهم أو جلهم، شوافع وأحناف كلهم أو جلهم، ومع ذلك فالتفريق جارٍ بين الجميع وضد الجميع!

وكلٌّ هذه الفرق يُدْفَعُ في عروق تميزها وتعصبها دم فاسد لكي يتحلل هذا الجسم وهو لم يمت بعد، لكي يموت قبل موته، لكي

تنتهي قوته وهو في أوج حياته.

والذي نحاوله، نحن في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ويحاوله آلاف غيرنا من العلماء السنة والشيعة والإباضية وغير المتمذهبين، في كل صقع من أصقاع الأرض، هو أن نبقى هذا الجسم حيًّا متماسكًا قويًّا كالبنيان المرصوص بحيث نستطيع أن نواجه به هذا العدو، وكل عدو؛ بل بحيث نستطيع أن نمنعه من مجرد التفكير في العدوان علينا، كما قال الله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إن التمسك بالتعددية الإسلامية مع الاحترام المتبادل، التعددية مع احترام كل ذي رأي وكل ذي فكر، هو أساس حياتنا وقوتنا. ومحاولة فرض الرأي والفكر على الآخر، بالقوة والقهر، هي سبيل ضعفنا وموتنا، والذي يبصر يدرك ما أقول. والذي لا يبصر لاتستطيع أن تهديه ولاتستطيع أن تنتشله مما هو فيه.

واجبنا ليس أن نرفع شعار الوحدة الإسلامية، واجبنا هو أن نحقق هذه الوحدة، لأننا بغير تحقيقها لن نصل مما نريد ونحب إلى شيء أبداً.

عندما سئل آية الله حسين منتظري عن رأيه في مسألة الوحدة الإسلامية كيف تكون والناس متفرقون مذاهب شتّى قال: «أنا عندما دعوت إلى الوحدة الإسلامية سنة ١٩٨١م- ١٩٨٢م لم أقل بتسنن الشيعي ولا بتشيع السني وإنما قلت بتوحد أهل المذاهب في مقاومة الاستكبار والصهيونية ... فتجديد مجد الإسلام وعظمته وشوكته لايحصل إلا باتحاد المسلمين عملاً، والاحتراز عن موجبات التفرقة بينهم»[٦١] وهذا هو عين الذي ندعو إليه.

نحن نقف بكل قوتنا في وجه أي محاولة لفتنة الشيعة في مذهبهم بدعوتهم إلى مذهب أهل السنة باعتباره المذهب الصواب، وأمام كل محاولة لفتنة السنة في مذاهبهم بدعوتهم إلى التشيع باعتبار مذهب الشيعة هو الصواب، فكل ذي مذهب وكل ذي دين وكل ذي ملة يعتقد أنه على الصواب المطلق والحق الخالص؛ لكن ليس من حق أهل القبلة أن يدعوا بعضهم بعضًا إلى ترك مذهبه إلى مذهب آخر، أو تدينه إلى تدين آخر لأن هذا يؤدي إلى فتنة عظيمة لا يعرف مداها ولامنتهاها إلا الله تبارك وتعالى. ومن هنا اعترضنا، ونعترض، على ما يقوم به بعض الناس، من الشيعة، في عدد من دول إفريقيا، وفي مصر، وفي المغرب وفي المجتمعات الإسلامية في أوروبا

(٦١) موقع آية الله الشيخ حسين منتظري على الشبكة الدولية للمعلومات.

والولايات المتحدة الأمريكية من محاولة نشر المذهب الشيعي في أوساط سنية خالصة.

إننا ندعو إلى الحوار والتقريب بين أهل المذاهب لا بين المذاهب نفسها، لأن المذاهب أوضاع فكرية وفقهية مستقرة لا يمكن تغييرها؛ لكن التعارف والتعاون بين أهلها هو الذي نعنيه بالحوار والتقريب لتحقيق الوحدة والقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ.

مصر - مثلاً - دولة سنية، هي دولة الأزهر، ودولة الدعوة الإسلامية القديمة، ودولة الشباب الذي أنشأ هذه الصحوة التي انتشرت في العالم كله، لا يجوز أن يفتن أهلها بالدعوة فيها إلى التشيع. منْ تشيع فليتشيع لنفسه. هذا شأنه. لكن لا يجوز لأحد أن يتخذ الدعوة إلى التشيع وسيلة للوصول إلى الزعامة أو الشهرة، أو وسيلة للكسب المادي من الذين يؤيدون ذلك ويدعون إليه.

وإحدى المشكلات مع إخواننا الشيعة هي مشكلة التصرف في أموال الخمس، فالذي يكسبه كل شيعي يذهب الخمس منه إلى علماء الشيعة وأئمتهم، وفق سلسلة طويلة من إجراءات التوزيع في كل مرحلة على المستحقين، ثم تتراكم من هذه الأخماس مليارات، بعضهم ينفق هذه المليارات في إنشاء المستشفيات والمدارس ونشر

الكتب وتعليم العلم ورعاية الفقراء . .إلخ؛ وبعضهم يرى أن ينفقها في نشر المذهب الشيعي، فيأتي هؤلاء المرتزقة الذين ينالون من هؤلاء الناس أموالهم لكي يحاولوا بعث أو نشر هذا المذهب في البلاد الخالصة لأهل السنة أو التي غالبية أهلها من أهل السنة، ويحاولون تفريق أمر المسلمين في الوطن الواحد، أو الجماعة الواحدة، وهو جميع. هذا هو الذي نقف ضده وهذه هي الفتنة التي لا نقبلها.

عندما قابل الشيخ محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، رحمه الله، الرئيس محمد حسني مبارك قال له: يا سيادة الرئيس نحن لا نقبل أن يتشيع سني ولا أن يتسنن شيعي. فذكر أحد الجالسين في المجلس بعض الأشياء التي تكتب وتنشر في مصر فقال له الشيخ: الشيعة برآء من هذا؛ هذه دوائر لانعرفها ولا نعرف لمن تكتب.

وجاء الشيخ في مساء ذلك اليوم إلى بيتي، وكان هناك عدد كبير من الناس، فكرر الكلمة، وكرر ذكر المكان الذي قالها فيه وهو في زيارته للرئيس محمد حسني مبارك. وهذه الكلمة هي نفسها التي يكررها آية الله منتظري فيقول: لم أدع في شأن الوحدة الإسلامية إلى أن يتشيع السنة أو يتسنن الشيعة، إنما دعوت إلى وحدة الأمة. وهذا هو الذي ندعو إليه أن يكون أمرنا كأمر سلفنا من أول هذه الأمة

التي لايصلح آخرها إلا بما أصلح أولها، أن يكون ديننا هو حافزنا إلى مقاومة عدونا، أن يكون ديننا هو داعينا إلى اختيار حكامنا وإيقافهم عند حدود ما يأمر به هذا الدين وينهى عنه.

إننا إذا فعلنا ذلك نجونا وإذا لم نفعل ذلك هلكنا. ولا يحق لنا، يومئذٍ، أن نسأل عن خطئنا أحدًا إلا أنفسنا. إن المدرك لواقع الأمة السياسي لا يرتاب في صحة ما قاله المستشار الجليل الأستاذ طارق البشري: «هذه المنطقة التي نعيش فيها ونكون جزءً منها عرفت من الحروب في نصف القرن الأخير ما يلي: حرب ١٩٤٨م التي استمرت أشهراً حتى ١٩٤٩م ثم أعقبتها هدنة، وحرب ١٩٥٦م لثلاثة أشهر تقريباً وأعقبتها هدنة، وحرب ١٩٥٦م لثلاثة أشهر تقريباً وأعقبتها هدنة، وحرب ١٩٦٧م لستة أيام احتلت إسرائيل بها كلاً من فلسطين وسيناء من مصر والجولان من سوريا، وحرب استنزاف امتدت نحو ٣ سنوات حتى ١٩٧٠م، وحرب ١٩٧٣م في سيناء والجولان، ثم لما انسحبت «مصر السادات» من العمليات الحربية في ١٩٧٩م، انتقلت أرض المعارك، فكانت حرب ١٩٨٢م باجتياح إسرائيل للبنان وبداية حرب المقاومة التي استمرت حتى عام ٢٠٠٠م، وفي خلال ذلك قامت انتفاضة الشعب الفلسطيني في فلسطين عام ١٩٨٨م، ثم حدثت حرب العراق الكويت في ١٩٩١م، ثم الانتفاضة الفلسطينية

في سبتمبر ٢٠٠٠م والمستمرة حتى الآن، ثم حرب احتلال الأمريكيين لأفغانستان في ٢٠٠١م وهي مستمرة، ثم الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣م والمستمر حرباً طاحنة حتى اليوم، ثم حرب لبنان في ٢٠٠٦م، أي إنها إحدى عشرة حرباً في ثمانية وخمسين عاماً؛ هي حرب أمريكية إسرائيلية ضد الشعب العربي في أقطاره كلها، وهي مستمرة بما يفيد أنها حرب واحدة ذات معارك متجددة تحدث كل سنوات محدودة وتنتقل أرضاً ومحاربين؛ ومن هنا يظهر أن العداء عداء إستراتيجي ممتد وحاكم لأسس العلاقة بين الطرفين»(٦٢).

وقد تكرر الحديث الصادر من مسؤولين أمريكيين عن أن الضربة القادمة ستكون لإيران... ثم البقية آتية ـ عندهم ـ لا ريب فيها.

فكيف نواجه هذا ونحن مشغولون بتكفير بعضنا بعضاً، وتكذيب بعضنا بعضاً، وتشكيك بعضنا في بعض؟

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٦٢) المستشار طارق البشري، نظرة من داخل الواقع المصري، مقال منشور على موقع إسلام أون لاين .نت بتاريخ ٢/٩/٢٠٠٦م.